المفاهيم التّعليمية في العصور الإسلامية الأولى
- تنظير وتحليل-

أ. فتيحة حدّاد

جامعة مولود معمري. تيزي- وزو

تمهيد: يبعث بنا التاريخ التعليمي الإسلامي إلى فتق كثير من القضايا لتحديد وجوده، وبالتالي معطياته وأساليبه ومن ثمّ نظرياته ويأتي البحث في المفاهيم التعليميّة التي وجدت في ظل هذا التاريخ التعليمي من بيّن أهم تلك القضايا التي يمكن أن يعتمدها الباحث في هذا الاختصاص "الاختصاص التعليمي الدّيداكتيكي" للتّنظير للوضعية التعليمية في هذه الفترة التاريخية من تاريخ الأمة الإسلامية، إلاّ أنه وقبل أن نذهب إلى تحديد هذه المفاهيم والتعرف إليها غلب علينا أمر الوقوف عند مفهوم مصطلح المفاهيم في صيغته الإفرادية، فما المفهوم يا ترى في شكله العام، وما المقصود بالمفهوم التعليمي؟

1- تعريف المفهوم: تعددت تعريفات هذا اللفظ أو هذا المصطلح وتعددت أنواعه*، وإذ جئنا للوقوف عند هذه التعريفات لقلنا:

1- التعريف الأول: جاء في هذا التعريف أن المفهوم هو: «تمثيل رمزي يتشكل من الخصائص المشتركة بيّن مجموعة الأشياء[1]، وهو أيضا تمثيّل عام للسمات المشتركة والثابتة بيّن فئات من الموضوعات القابلة للملاحظة، والذي يمكن تعميمه على كل موضوع يمتلك كل السمات»[2]، أي أن هذا التعريف أتى أو جاء للتعبير عن مفهوم المعطى المشترك للسمات المشتركة.

2- التعريف الثاني: أما التعريف الثاني فيقول أن المفهوم هو أن نعطي أو نقدم اسم مصطلح لكل التمثلات الرمزية ذات الطبيعة الفعلية لمعاني أو مدلولات عامة

تناسب مجموعة* من المواضيع الواقعية أو المحسوسة ذات الممتلكات أو المعطيات المشتركة»[3] (أنظر في نفس المعنى: الفكرة، المرجع والمدلول...)، والمفهوم هو أيضا تلك الفكرة المجردة التي يمكن تطبيّقها على تجارب أو موضوعات متنوعة لها خصائص مشتركة ... دون اعتبار الاختلافات التي يمكن أن توجد بينها...[4]

وللمفهوم حسب معجم علوم التربية دائمًا خاصيتيّن هامتيّن يقوم عليهما هما:

أ- الخاصية الأولى: التجريد.

ب- الخاصية الثانية: التعميم، أي أنّ المفهوم لابد أن يتسم بسمة التجريد، بمعنى أن المفهوم لابد أن ينتقل من الملموس إلى المفهوم المجرد وأن يكون معممًا، أي أن المفهوم لابد أن يكون جامع لخصائص مشتركة لموضوعات مختلفة يمكن سحبها على فئة غير متناهية من الموضوعات[5]، فالعملية هنا عملية شبه حلقية، أي أنّ المفاهيم في بعدها الأول تأتي لتؤسس لمفاهيم ومصطلحات ذات خصائص مشتركة من مواضيع متنوعة ومختلفة لوضعها ومن ثم توزيعها على موضوعات غير متناهية ذات اختصاصات غير متشابهة.

كان هذا إذًا وبشكل عام بعض التعريفات والتوضيحات لمفهوم وتعريف مصطلح "المفهوم" في شكله العام، إلاّ أنّ الهام في طرحنا هذا هو المفهوم التعليمي والتربوي البيداغوجي لمصطلح المفهوم، فكيف جاء تعريفه يا ترى؟

3- تعريف المفهوم التعليمي (التربوي، البيداغوجي): ارتبط تعريف المفهوم في ظل التربية والتعليّم بعدة مسائل أهمها:

1- المسائل السيكولوجيّة.

2- المسائل اللغوية، اللسانية.

3- المسائل البيداغوجية.

4- المسائل الاجتماعية، وإذ أتينا إلى تحليل هذا المفهوم "المفهوم التعليمي التربوي" في ظل هذه المسائل المتعددة والمختلفة من حيث المعطى والمدلول لذهبنا للقول أنّ ارتباط علماء النفس وأهل السيكولوجيا بالمفهوم قد جاء عند اهتمامهم

بدراسة التعلم وآلياته[6]، وقد جاءت تعريفات المفهوم في هذا الميدان كثيرة منها أن «المفهوم عادة لفظية مألوفة تتكون دائمًا على أساس فئة من الموضوعات المثيرة والمشكلة من عناصر متشابهة»[7] وهو أيضا عملية إستنتاجية ذهنية، ... إنه تعميم لحدث ما[8] فهل ستتكون المفاهيم التعليمية في العصور الإسلامية الأولى طبقا للعادات اللفظية الجديدة التي سوف يكتسبها المتعلم الطفل من خلال التأقلم اللغوي/ اللساني الجديد في ظل الحياة الاجتماعية (الإسلامية) الجديدة أم كيف؟ قبل أن نجيب عن هذا الطرح أيضا لبد أن ننظر لتعاريف أهل الاختصاص اللساني الحديث فنقول: تصب التعريفات اللسانية في حق مصطلح "المفهوم" في ظل ما يُعرف بالعلاقة القائمة بيّن الفكر واللغة وبالأخص حول مسألة ما مدى وجود المفاهيّم بمعزل عن اللغة[9]. وقد استدلت الأبحاث السيكولوجية/ اللغوية الحديثة على لسان "بياجي" أن اكتساب المفهوم يختلف بالضرورة القصوى عن اكتساب اللّغة[10]، وهنا نأتي لنتساءل مرة أخرى قائليّن: هل توصل المتعلّم/ الطفل في العصور الإسلاميّة الأولى إلى تصور هذه العلاقة أولاً: "العلاقة بيّن الفكر واللّغة"، وهل اكتسب فكر هذا الطفل/المتعلم آنذاك المصطلحات الجديدة الواردة عليه في ظل العقيدة الجديدة بمصطلحاتها ومفاهيمها المتعددة والمتنوعة والغانية أيضا، هذه المفاهيم التي أصبحت لصيقة بفكر المتعلم (الطفل/المسلم) الذي خرج من مجتمع كان يسعى للحرب دائمًا في ظل الحراك القبلي.

وعليه نقول: أنه وقبل أن نجيّب عن هذه الأسئلة المطروحة جاء لزامًا علينا رصد مدونة للمفاهيم التعليمية التربوية التي كانت سائدة في العصور الإسلامية الأولى.

2- المفاهيّم التعليميّة في العصور الإسلامية الأولى:

أ/ المدونة: تصب مدونة عملنا هذا في مرحلة تاريخيّة معينة وهي مرحلة العصور الإسلامية الأولى "أي ما يتراوح ما بيّن القرن الأول للهجرة والقرن السادس إلى نهاية القرن التاسع الهجري بمصر". وتأتي مدونتنا هذه للبحث عن

المعطى الاصطلاحي التعليّمي التعلمي وبالتالي محاولة تتبع وروده في هذه المرحلة التاريخية وما مدى نشوءه أي نشوء المفهوم التعليمي من جهة، وما مدى تطوره من جهة أخرى، وما الكيفية التي أُنتّجت بها وهل حقيقة أسهمت هذه المفاهيّم التعليميّة في خلق الحركة التعليمية وبالتالي تأسيس وإرساء التقاليد التعليمية في الأمة الإسلامية الفتية؟

للإجابة عن كل هذه الطروحات علينا كمرحلة ثانية في هذا الجزء التطبيقي من عملنا هذا الوقوف عند:

أ2/ تحديد المدونة وحصرها**: جاءت مدونتنا هذه حاملة لتلك الموضوعات "المفاهيم البارزة" التي مست الميدان التعليمي في مراحله الإسلاميّة الأولى نحو ما أشرنا إليه في العنصر السابق وسنحاول أن نجسدها من خلال الترسيّمة التالية:

المصطلح (المفهوم)	تطوراته	ملاحظات
1/الشيخ: – الشيخ – الشيخ	– المعلم/ الشيخ. – الشيخ / المقرىء. – الشيخ/ المؤدب.	– القائم على تعليّم القراءة والكتابة. – القائم على تعليم القرآن: قراءة القرآن الكريم. – هو المفهوم الذي سيرتبط بلقب الشيخ الذي سيجمع ما بيّن المهنتيّن معًا: (تعليّم القراءة والكتابة وتعليّم القرآن الكريم وإقرائه).
2/ المعلم / المؤدب	– المعلم/ المؤدب القصوري.	– هو ما ارتقى إليه مفهوم الشيخ القائم بالمهنتين (التعليّم والتأديب) مع أبناء الخلفاء وأعيان القوم.
3/ الصبي/ الطفل	– المتعلم/ التلميّذ الطالب.	– هو المفهوم الذي ارتبط باللقب والدرجة التي تحصل عليها الطفل والفرد المسلم الذي أصبح طالبًا

		للعلم، المتتلمذ على أيدي شيوخه والآخذ للعلوم المختلفة: الدينيّة والفقهيّة والعلوم الآلية أيضا.
4/ المترجم	– المترجم.	– الباحث في نقل أسرار لغة إلى لغة أخرى وبالتالي ترجمة العلوم وحمل المعارف للمتعلميّن المسلميّن.
5/ الناسخ	– الناسخ/ الباحث.	– الباحث، القائم على نسخ الكتب.
6/ المتمذهب	/	– لقب يذهب في اتجاهيّن: أ– صاحب المذهب ومؤسسه. ب– المنحاز أو المعتنق لمذهب معيّن.
7/ الديواني	الديواني/ الكاتب.	– لقب القائم والعامل على شؤون الدواويّن على اختلافها وتعدّدها وهي كثيرة نحو ديوان الخراج ديوان الرسائل.
8/ الوراق	المطبعي	– هو مفهوم ارتبط بالقائم على نسخ الكتب وتغليفها وتجليدها وتعليّم الصبيّة أيضا في حانوته أو دكانه.
9/ الفقيه	– العارف بأمور الدين / القاضي.	– مفهوم ومصطلح ارتبط بـــ: أ– العارف بأمور الديّن. ب– العارف بأمور القضاء والفاصل فيها من خلال تشريعات القرآن والسنة النبوية الشريفة.
10/ اللّغوي	– اللساني.	– المفهوم الذي ارتبط بالباحث في

		اللغة وأحوالها وأسرارها وظواهرها.
11/ المعجمي	-المعجمي/القاموسي.	– المصطلح أو المفهوم الذي ارتبط بالباحث في مفردات اللغة من حيث أصلها، بنائها واشتقاقاتها... إلخ.
12/ النحوي	– النحوي/ العالم بأسرار العربية.	– المفهوم الذي ارتبط بالباحث في قواعد اللغة من حيث بنائها وتأسيسها والبحث في حركاتها الإعرابيّة وما مدى إسهام هذه الأخيرة في تحديد معانيها ودلالتها.
13/ المقرئ القارئ	– المرتل/ الشيخ/ شيخ المسجد/ الجامع/ المجوّد.	– المفهوم الذي ارتبط بمقرئ القرآن أي مرتله ومعلمه للآخر أي ذلك الذي جمع ما بيّن تعليم القرآن معنًا ولغة للصبيّة المتعلمة.
14/ الدور التعليميّة	– بيوت العلم.	– هي المفاهيّم أو المصطلحات التي ارتبطت بالأماكن التي كان يقام بها التعليّم.
15/ المساجد	– الجوامع/ بيوت اللّه.	– هي المفاهيم التي ارتبطت بالموضع الأول للصلاة والعبادة والتعليم في آن واحد في الإسلام.
16/ الكتاتيّب	– الكتاب/ الزوايا.	– هي المفاهيّم التي ارتبطت بأماكن تعليّم اللغة العربيّة والقرآن الكريم أيضا في البدايات الأولى للحركية التعليميّة في العصور الأولى للإسلام والذي سوف يتفرع إلى

		أنواع: أ- الكتّاب الخاص بتعليّم القرآن الكريم. ب- الكتاب الخاص بتعليّم اللغة العربية. ج- الكتّاب القصوري.
17/ الكتّاب / القصوري	- المكتبة الخاصة	- هو المصطلح أو المفهوم الذي ارتبط بتعليم اللغة العربية والقرآن الكريم والعلوم الآلية الأخرى لأبناء الخلافاء وأعيان القوم في قصورهم ومن هنا جاءت التسمية.
18/ المدرسة	- المدرسة/ لمسيد بالمغرب الكبير.	- هو المفهوم الذي ارتبط بالأماكن التعليميّة في عهد السلاجقة في المرحلة الأخيرة للعصر العباسي.
19/ الحلقة	- الحلقة/ الحصّة الدرس ...إلخ.	- هو المفهوم الذي ارتبط بهؤلاء الذين كانوا يتحلقون بالرسول "ﷺ" للأخذ عنه والتعلم منه والذي تطور فيّما بعد إلى مفاهيّم تعليمية بيداغوجية أخرى.
20/ الإقراء	- التخطيّط/ التلاوة التجويد/ الترتيّل	- هو المفهوم الذي ارتبط بفعل إقراء القرآن الكريم وأساليب تعليّمه.
21/ التحري اللغوي	- البحث اللغوي	- هو المفهوم الذي جاء نتيجة البحث عن أسرار اللغة العربية وتداولها ما بيّن العامة والخاصة من العرب

		الأقحام والأعاجم وما نجم عنها من مسائل نحوية وصرفية معقدة.
22/ اللحن	– الخطأ اللغوي/ الخطأ الإعرابي/ الخطأ اللساني /الخطأ النطقي.	– هو المعطى أو المفهوم الذي نتج عن الحركية التطورية للمجتمعات الإسلاميّة للأمة الإسلاميّة نتيجة اختلاط اللغات لاختلاف الأجناس العربية، وقد ارتبط هذا المفهوم بالتصحيح النحوي والإعرابي للغة العربية حتى ارتقى إلى درجة الإرشاد طبقا لقوله "ص" "أرشدوا أخاكم فقد ظل".
23/ الإجازة (المُجازيّن)	/	– مفهوم نتج مع تطور الحركة التعليميّة وتطور مراحلها التعليمية فأصبح الصبي المتعلم الجاد يجاز ويكون له لقب المتحصل على الإجازة.
23/ المستملون	/	– ارتبط هذا المفهوم مع تطور النظام التعليمي في العهد الأموي خاصة عندما كان الصبيّان يتعلمون من مشايخهم وبعد تمكنهم من المادة المدروسة يقومون باستخلاف مشايخهم في إملاء الدروس.
24/ الآمالي	الإملاء.	– هو المفهوم الذي كان يطلق على المادة التي كانت تأتي في شكل

25/ الصبي المتعلم الأمير	/	نصوص إملائية على مسامع الصبيّة المتعلمة. – هو المفهوم الذي أصبح شبه لقب لصيق بأبناء الخلفاء والأمراء الذين كانوا يُتابعون تعليمهم في مدارس ودور تعليمة خاصة بهم في أجنحة من قصورهم.

ترسيمة رقم (1) تمثل حصر المدونة

ب2– تحليل المدونة: يقوم تحليّل مدونتنا هذه على عدة نقاط هامة، إلاّ أنه وقبل الشروع في تحديد هذه النقاط وتحليلها لابد من الإشارة إلى أننا لم نحصر كل المفاهيّم العلميّة التعليمية التي ظهرت وتطورت في هذه المرحلة التاريخية من تاريخ التعليم في الإسلام، وهذا لـــ:

أ– كثرتها، كثرت هذه المفاهيّم.

ب– المقام الذي نحن فيه– ورقة عمل– مقال– وعليه حاولنا التعامل مع مجموعة من المفاهيم بشكل عشوائي اعتباطي ليس إلاّ رغبة منّا في محاولة توضيح ما مدى تواجد هذه المفاهيّم في هذه الفترة التاريخية بالذات من التاريخ التعليّمي الإسلامي، وما مدى إسهام هذه الأخيرة (المفاهيّم) في تعبيّد المسار التعليّمي للأمة الإسلاميّة وبنائها أيضا. لذا وجدنا أن المطلع على تاريخ التربيّة والتعليّم في هذه المراحل التاريخية الأولى يلمس ويلاحظ الفرق القائم ما بيّن العصر الجاهلي وهذه العصور الإسلامية الأولى، حيث نجد أن العصر الجاهلي كعصر سابق لها والتي يبقى عصرًا فارغًا من حيث المعطى المعرفي التعليمي لأنه كان ضعيف الارتباط بالأبعاد الاجتماعية والسياسية والثقافية التي لا تزال قائمة إلى حد الساعة على مفهومي الكتابة والقراءة كعامليّن أساسيّن لتطور أي

حضارة بشرية مهما اختلفت أصولها وتنوعت أجناسها وهما العامليّن اللذين وجدناهما من خلال تحليلنا لهذه الإشكالية غائبيّن بحكم قيام المجتمعات العربية في العصر الجاهلي على ثقافة المشافهة والإخبار*[15] وهذا ما سيدفع برسولنا الكريم- كأول معلم في الإسلام- إلى البحث عن حلول عاجلة لفتق المسار التعليمي وبعثه في أمته الفتية، وحادثه "بدر" أين أمر الرسول الكريم (ﷺ) بإطلاق سراح أسرى هذه الواقعة مقابل تعليّم عدد من المسلميّن القراءة والكتابة لا أكبر دليل على ما نقول: « ... وفي غزوة بدر وقع كثير من أهل مكة في الأسر، وقد جعل الرسول "ص" للقارئيّن منهم أن يفتدوا أنفسهم بتعليّم القراءة والكتابة عددًا من أبناء المسلميّن»[16] فكيف أسهمت هذه المفاهيّم التعليميّة في رفع المستوى التعليّمي للفرد المسلم المتعلم؟ وكيف ساعدته على تأسيس الأشواط الحضارية التي قطعتها الأمة الإسلاميّة في هذه المرحلة من مراحلها التعليميّة؟

لقد وجدنا وجوه عدة ومعطيات كثيرة يمكن لها الإجابة على طروحاتنا هذه أهمها:

1- ارتباط هذه المفاهيّم التعليميّة بالدرجات العلمية التي ظهرت في هذه الفترة التاريخية: إن أهم المفاهيّم التي صبت في هذا الاتجاه هي تلك التي ارتبطت بالتعليّم الديني والتعليم في شكله العام*، كما حددناه في مدونتنا أهمها:

أ- مفهوم المشيخة بأنواعها:

أ1- الشيخ/ المعلم.

أ2- الشيخ/ المقرىء.

أ3- الشيخ/ المؤدب، بحيث نجد أن هذه الألقاب التي اكتسبها أصحابها وأخذوا من خلالها مراتب علميّة وتعليمية بارزة، لم تكن معروفة ولا قائمة ما قبل هذه المرحلة التاريخية من التاريخ التعليّمي الإسلامي، حيث أن اسم أو مفهوم الشيخ/ المؤدب قد تأسس مع ضرورة تعليم أبناء الخلفاء، وأعيان القوم في بيوتهم (قصورهم) الدين الإسلامي مبادئه وقواعده من خلال تعليّمهم القرآن الكريم من

جهة واللغة العربية للحفاظ على معاني هذا الدين ومفاهيّمه من جهة أخرى، حيث يقول أحمد شلبي مؤكدًا هذا المعطى «... اشتق اسم المؤدب من الأدب إمّا خلقًا أو رواية، وقد أطلق كلمة مؤدب على معلمي أولاد الملوك إذ كان الناحيتيّن...»[17] أي أنّه كان يهتم بتعليّم القرآن واللغة العربية أيضا.

2- مفهوم الصبيّة المتعلمة / الطفل المتعلم: المفهوم الذي سيترقي إلى درجة الطالب المجاز من الإجازة والتي عرفت في أواخر العهد الأموي وبداية العهد العباسي الأول أي أن الصبي/ الطفل أصبح طالبًا للعلم يتتلمذ على أيدي شيوخه آخذًا عنهم العلوم المختلفة: الدينية الفقهية وكذا العلوم الآلية الأخرى بمّا فيها علوم العربيّة بعد أن كان (المتعلم) فردً أميًا جاهلاً للعلم ونور الديّن والإيمان.

3- المترجم: صاحب هذا المفهوم العوامل الاجتماعية والسياسية وكذا الثقافية التي عاشها الفرد المسلم العربي الفتي باندماجه واختلاطه مع الأجناس الأخرى وبالتالي التعرف إلى حضاراتها وحمل علومها وفنونها واكتشافاتها ومن ثم حملها إلى أمته الإسلامية الفتية وأبنائها المتعلميّن فجاءت وظيفة المترجم حاملة للدوّر الفعال في دفع عجلة تطور التعليّم في العالم الإسلامي في هذه الفترة التاريخية من تاريخ الأمة الإسلامية، مؤسسًا بهذا المفهوم من المفاهيّم التعليمية التي أنتجها الحراك الحضاري ومتطلبات الحياة الثقافية والعصرية للحياة الإسلامية الجديدة آنذاك.

4- الناسخ/ الوراق/ الحانوتي: ارتبطت هذه المفاهيم كألقاب ودراجات علمية واصفة ومميزة لذا من ذاك بهؤلاء الذين اشتغلوا بالوراقة[18] ودكاكينهم وهؤلاء الذين كانوا قائميّن على نسخ الكتب وطبعها بعد قراءتها وتصحيحها وتقويمها، لذا وجدنا أن الدكاكيّن وحوانيت الوراقيّن جاءت من بيّن أهم تلك الأماكن التعليميّة التي عرفت في هذه الفترة الإسلاميّة من تاريخ التعليّم في الإسلام، بحكم أن هؤلاء الوراقيّن كانوا من العارفيّن بالعلم والأدب، «... ولم يكونوا بائعوا الكتب مجرد تجار ينشرون الربح وإنّما كانوا- في أغلب الأحيان- أدباء ذو ثقافة يسعون للذة

العقلية من وراء هذه الحرفة التي كانت تتيح لهم القراءة والإطلاع وتجلب لدكاكينّهم عيون العلماء والأدباء، وعلى هذا فقد حفلت أسماء الوراقيّن بشخصيات لامعة كابن النديم صاحب الفهرست...» [19] وبالتالي نقول أن هذا العمل قد أسهم أيضا وبشكل واضح في إبراز هذه المفاهيّم والمصطلحات المرتبطة به وكذا دفع عجلة التعليّم في العالم الإسلامي انطلاقا من هذه المرحلة التاريخية.

5- المتمذهب: وهو المفهوم الذي حمل لقبًا يذهب في اتجاهين إثنيّن:

1- الاتجاه الأول: الاتجاه الأكثر شيوعًا في هذه الفترة التاريخية والمتمثل في صاحب المذهب ومؤسسه وهو لقب اتخذه وتحصل عليه هؤلاء الذين كان لهم الرقاء العلمي في الميدان الديني، فكانت لهم هذه الدرجة التعليميّة وتولد من خلال مهامهم هذا المفهوم.

2- الاتجاه الثاني: الاتجاه القائل أو الواصف لهؤلاء المنحازيّن أو المعتنقيّن لمذهب ديني أو علمي معيّن، على الرغم من أن هذه الفترة التاريخية من التاريخ الإسلامي في شكله العام قد كانت مرحلة دينيّة أكثر منها أمور أخرى وهذا يعود بطبيعة الأمر إلى ضرورة ترجمة الواقع الديني إلى واقع عملي حياتي حتى يُقيّد الفرد المسلم الفتي ويعمل على ترقيّة مساعيه الأخلاقية والتربوية في سلوكاته اليومية ودليلنا في هذا المذاهب الدينية الأربعة التي بدأت تتأسس مع بداية تطور حركة الفكر الديني للأمة الإسلامية، وهي:

- المذهب الملكي.
- المذهب الحنفي.
- المذهب الشافعي.
- المذهب الحنبلي وهذا بطبيعة الأمر، نسبة إلى صاحب المذهب فنقول مثلاً المذهب الملكي نسبة إلى مالك بن أنس وكل هؤلاء الذين يعملون بأسس ومبادئ مذهبه فنقول تمذهب فلان بمذهب فلان، أي بمذهب هذا الأخير.

6- الديواني/ الكاتب: أسهم هذا المفهوم الذي نشأ منذ عهد عمر بن الخطاب (ض) في دفع وتيرة الدولة في شكلها العام ووتيرتي التعليّم والترجمة في شكلهما الخاص، بحكم أن الدواويّن قد جاءت في هذه المرحلة التاريخية بمثابة الصورة العاكسة لوضع الدولة أمام الأمم والدول الأخرى وتمكّن العرب الأقحاح كفئة مسلمة من العلوم والفنون خاصة فن الترجمة ضرورة لابد منها لابد منها لتحصيّن الدولة الإسلاميّة والعمل على استمرارها، لأن التمكن من اللغات يعني أخذ منصب هام في دوّر من أديرة الدواوين* التي انتشرت في هذا التاريخ من تاريخ الأمة الإسلامية، خاصة ديوان الوسائل التي كانت مهامه راقية وهامة، قائمة بالدرجة الأولى على مبدأ التمكن من اللغات وبالتالي فهم سياسات الغير، من خلال فهم لغتهم والتمكن منها..

7- اللغوي/ النحوي/ المعجمي: مفاهيّم أو مصطلحات جاءت خادمة لشقيّن هاميّن في تاريخ تطور الحركة التعليميّة في العالم الإسلامي وفي هذه الفترة التاريخية بالذات وهما:

1/ الشق الأول: الحفاظ على اللغة العربيّة من خلال تعليّمها تعليمًا سليمًا.

2/ الشق الثاني: الحفاظ على القرآن الكريم من اللحن أيضا خوفًا على اختلال معانيه حيث قال "ص" «أرشدوا أخاكم فقد ظل»، والملاحظ أن الباحث/ اللغوي/ النحوي، قد حقق نتائج علمية راقية أهمها:

1- في الميدان اللغوي: اختلفت المعطيات وكذا النتائج العلمية في ميدان البحث اللغوي، حيث وجدنا:

أ- **البناء الرمزي للحرف العربي:** تأسّيس المبادئ الأولى والأساسية للكتابة العربية أي البناء الحرفي للأبجدية العربيّة.

ب- تأسيس المبادئ الأولى لقواعد اللغة العربية: جاءت- البدايات الأولى للبناء القواعيدي للقواعد اللغة العربية في كل مجالاتها مصاحبة للنهضة الإسلامية الأولى بداية من عهد الرسول (ﷺ) حينما شرع في إصدار أوامره بضرورة تعليّم

قواعد اللغة العربية والتحكم فيها حفظاً للدين ومفاهيم الشريعة وقد جاءت مجالات اللغة العربية على النحو التالي:

1- المجال النحوي: تأسيس القواعد النحوية وبالتالي إنتاج العلم، علم النحو.

2- المجال الصرفي: تأسيس القواعد الصرفية وبالتالي إنتاج علم الصرف.

3- المجال البلاغي: تأسيس القواعد البلاغية والبيانية، وبالتالي إنتاج علمي البلاغة والبيان.

4- المجال الصوتي: البناء المبدئي للأسس والمعطيات الصوتية، وعليه نقول أن المفاهيّم الآتية والتي سنتعرض إليها في هذا الجزء الثاني من هذا العمل هي تلك المفاهيّم التي سنحاول من خلالها إبراز الجانب الهيكلي المادي الحق لهذه المرحلة التعليميّة من تاريخ التعليم الإسلامي رغم عدم تجاهلها للجانب المعنوي للتعليم بكل أبعاده، أهمها:

1- المساجد: يأتي المسجد من بيّن أهم تلك المفاهيّم التعليميّة التي جمعت ما بيّن الجانب المادي والمعنوي للحركية التعليميّة في هذه المرحلة التاريخية من تاريخ التعليم الإسلامي بحكم أن تاريخ التربية الإسلامية يرتبط ارتباطا وثيقًا بالمسجد، ولهذا فإن الحديث عنه، يعني الحديث عن المكان الرئيسي لنشر الثقافة الإسلامية... [20]. لأنه كان وسيبقى المكان الأول لتجمع المسلميّن بكل مستوياتهم وعلى اختلاف أجناسهم. وللمسجد عدة مصطلحات أو مفاهيم أخذتها الهيكلة أو المبنى في صورتيّها: المادية والمعنوية أهمها تلك التي وردت باللغة الفرنسية Mosquée واللغة الإسبانية Mesqida ...إلخ[21].

2- الكتاتيّب: ثاني مفهوم مادي، معنوي بعد مصطلح المسجد أو الجامع. وقد جاءت الكتاتيّب أيضا لتعبر عن مرحلة انتقالية للحركية التعليميّة في هذه المرحلة الإسلامية من التاريخ التعليمي الإسلامي. بحيث يأتي الكتّاب كثان مبنى عرفته الهيكلية المادية للحضارة الإسلامية المرتبطة بالتاريخ التعليمي الإسلامي بعد المسجد، وقد تأسس ونتج هذا المفهوم في ظروف استعجالية فرضتها التطورات

التي عرفها الدرس التعليمي الإسلامي[22]، إلاّ أن الواجب الإشارة إليه هو حمل هذا المصطلح ما بيّن حناياه مرحلة تعليمية هامة في التعليم الإسلامي ككل وهي المرحلة التنظيمية التي ستفصل فيها الهياكل التعليميّة عن أماكن العبادة (المسجد) وتستقل عن بعضها البعض:

3- المدرسة: المدرسة مفهوم اصطحب هذه المرحلة التعليميّة من تاريخ التعليم الإسلامي وعلى وجه التحديد نهاية القرن الخامس للهجرة مع السلاجقة في أواخر العهد العباسي. والمدرسة هو المفهوم الذي من خلاله ومنه بلغت الحركية التعليمية في العالم الإسلامي أوجها إمّا من حيث:

أ- الجانب المادي.

ب- الجانب البيداغوجي، التنظيمي.

ج- الجانب التعليمي، بحكم أن هذا المفهوم لا يزال قائم ومتداول ماديًا ومعنويًا إلى حد الساعة، رغم أن الدراسات المطّلع عليها تقول أن المصطلح قديم قدم حضارة واد الرافديّن، وهو ليس وليد الحضارة العربية الإسلامية.

خاتمة: في نهاية هذا الصراح، نحاول أن نقول: إن الحركية التطورية عامل قائم غير زائل إلاّ بزوال البشرية وانتهائها، وتبقى السيرورة التطورية في سلك التعليّم في الحياة الإسلاميّة مرحلة لابد منها في كل الأطوار التاريخية ومع كل الأجناس البشرية مثلها مثل العلوم الأخرى ويبقى المصطلح التعليّمي للعصور الإسلاميّة الأولى "عاملا" محركًا أساسيًا عمل على تحريك جوانب عدة في الحضارة الإسلامية أهمها:

- تأسيس مفاهيم العلوم على اختلافها وتنوعها.
- تحقيق المزايا الإنسانية في أحضان الحضارة.
- بعث الثقافات على تنوعها واختلافها في هذه المرحلة التاريخية من تاريخ البلاد الإسلامية التي كانت خاضعة للفتح الإسلامي.

وعليه فقد خلصنا إلى أن:

1- فتق موضوع مثل هذا يحتاج إلى تاريخ واسع لمؤلفات عديدة تكون كلها مصادر ومن أمهات الكتب.

2- المفاهيّم الديداكتيكية في العصور الإسلامية الأولى كانت لصيقة المشيخة والمذاهب الدينية المختلفة وكذا التيارات والتوجهات السياسية.

3- جاءت معظم المفاهيم التعليميّة وليدة التفقه الديني الذي كان لصيق بالحركية التعليميّة في العالم الإسلامي منذ عهد الرسول (ﷺ)، كأول معلم في الإسلام إلى العصور المتأخرة منه، وإلى يومنا هذا في مدارسنا وجامعاتنا.

4- لم تنسلخ المفاهيم التعليميّة لهذه الفترة التاريخية من تاريخ التعليم الإسلامي عن ثنائية الفكر الديني واللغة العربية، أي أن العمل على ترقية الفكر الديني والاشتغال على اللغة العربية للحفاظ على هذا الديّن كان حاضرًا دائما.

5- ارتقت المفاهيم مباشرة إلى درجة المصطلحات في هذه الفترة التاريخية من تاريخ التعليم الإسلامي بحكم عدة عوامل اشتركت لبعث هذا المعطى وتحقيق هذه النتيجة التي أصبحت عويصة في الوقت الراهن في العالم العربي الإسلامي[23]* أهمها:

1. قلة المفاهيّم في العصور المنصرمة لهذا العصر المدروس في ورقتنا هذه.
2. ارتباط هذه المفاهيم بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة كمصدرين لا يحتجان إلى تحقيق.
3. الاستهلاك السريع للمجتمع لهذه المفاهيّم بحكم كونه مجتمعا فتيًا من حيث التكوين والتعليّم وبالتالي المعطى العلمي، لذا يجدنا المطلع على عملنا هذا نرادف المصطلح والمفهوم من الحين إلى الآخر ليس من باب السهو، وإنما من باب ملاحظتنا أنّ المفاهيم العلمية بكل مجالاتها آنذاك، وليس بالمجال التعليمي التعلمي فقط لم ترتقي بعد إلى درجة المصطلحية.

الهوامش:

*- أهم هذه الأنواع هي: المفاهيم التصنيفية، المفاهيم المقارنة، المفاهيم الإمبريقية، المفاهيم الكميّة، المفهوم الكيّفي أو النوعي، المفهوم النظري، المفهوم الفلسفي...إلخ والتي يمكن مقابلتها باللغة الفرنسية، وحسب ترتيب ورودها على النحو التالي:

1- Concept classificatoire. 2- Concept comparatif. 3- Concept quantitatif.
4- Concept qualitatif. 5- Concept théorique. 6- Concept philosophique.
7- Concept didactique.

1- عبد اللطيف الفارابي، محمد أيت موصى وآخرون، معجم علوم التربيّة، سلسلة علوم التربية، العددان 9-10، ط1، دار الخطابي للطباعة والنشر، 1994م، ص 46.

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

* - « on donne le nom de concept à toute représentation symbolique, de nature verbale, ayant une signification symbolique convient à toute une série d'objets concrets procédant des propriétés communes » (v. notion, Référent, Signifié).

3 - Jean du Bois, Mathée Giacomo, grand dictionnaire de linguistique et science du langage, édition Larousse, 2007, Paris, p 107.

4- معجم علوم التربية، سلسلة علوم التربية، ص، ص 46، 47.

5- المرجع نفسه، ص 47.

6- معجم علوم التربية، ص 47.

7- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

8- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

9- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

10- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

**- لقد اعتمدنا في حصر المدونة على فصول رسالتنا (رسالة دكتورة)، حيث حاولنا استخراج وجمع المصطلحات الواردة في فصول رسالتنا التي حاولنا من خلالها حصر هذه المرحلة التاريخية في جانبها التعليمي المنهجي، فظهرت لنا مجموعة من المصطلحات التعليمية، طبقا لتطورها والحياة الاجتماعية والسياسية وكذا الدينية.

* « Il est bien notoire que les plus importantes moments auquel se rattache les débuts de la culture et de la langue arabe, le coran et la poésie archaïque sont des œuvres tributaires d'une langue à circulation orale antérieure à leur fixation écrite… ».

15 - Nadia Aughlescu, langage et culture dans la civilisation arabe, préface de Jean – Louis Royet Abdelaziz Othman Altfwaijri, édition Harmattan, Paris, p 23.

16- أنظر لهذا:

أ- تقي الدين أحمد بن علي، إمتاع الأسماع بما الرسول من الأنباء، والأموال والحفدة والمتاع ج1، تصحيح وشرح: محمود محمد شاكر، لجنة التأليف والترجمة والنشر، د ت، ص 101.

ب- أحمد شلبي، تاريخ التربية الإسلامية، ط4، موسوعة النظم والحضارة الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة: 1976م ص 45.

*- الذي سيرتقي وسيعرف بالتعليم النظامي وهو نفسه الذي سيتطور إلى التعليّم الذي هو معروف ومتداول اليوم في عصرنا هذا.

17- تاريخ التربية الإسلامية، ط4، ص 44- 45.

18- أنظر كل من:

أ- أبو سعد عبد الكريم بن محمد ابن تميم السمعاني، الأنساب، تقديم وتعليق عبد الله البارودي ج5، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت: 1955م، ص 579.

ب- يحي وهيب الجبوري، الكتاب في الحضارة الإسلامية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت: 1988م، ص 65.

19- أحمد شلبي، تاريخ التربية الإسلامية، ط4، ص 62.

*- إشارة منّا إلى أن المشرف على الديوان عرف باسم الكاتب من الكتّاب والكتابة وهذا ابتداءً من عهد عمر بن الخطاب (ض) الذي كان أول من أنشأ الدواوين على اختلافها:

1- ديوان الوسائل. 2- ديوان الخراج. 3- ديوان الجند. 4- ديوان الشرطة. 5- ديوان القضاء.

20- أحمد شلبي، تاريخ التربية الإسلامية، ط4، ص 102.

21 - Lucien Golvir, La mosquée, ses origines, sa morphologie, ses divers fonctions, son rôle dans la vie musulmane, plus spécialement en Afrique du nord, institut d'études supérieurs islamique d'Alger, palais d'hiver, Alger, 1960, p 14- 18.

22- موسوعة تاريخ التربية الإسلامية، ط4، ص 53.

23- علي القاسمي، علم المصطلح، أسسه النظرية وتطبيقاته العلمية، ط1، مكتبة لبنان ناشرون بيروت: 2005م، ص 262.

*- «إن التقدم في المعرفة البشرية والتكنولوجيا والاقتصادية يعتمد إلى حد كبير على توثيق المعلومات... غير أن هذا التطور السريع في المعارف الإنسانية ّأدى إلى صعوبة إيجاد مصطلحات كافية شافية، إذ لا يوجد تطابق ولا تتناسب بين عدد المفاهيم العلمية المتنامية وعدد المصطلحات التي تعبر عنها».